الفصل الرابع

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل الكُتَّاب والمؤرخين المعاصرين

obeikan.com

obeikan.com

- محمود شكري الألوسي (١٨٥٧-١٩٢٤م)

حيث قال في كتابه (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب):

(الصابئة أمة كبيرة من الأمم الكبار ، وقد اختلف الناس فيهم اختلافًا كثيرًا ، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم ، فذكرهم الله في الأمم الأربعة التي تنقسم كل أمة فيهم إلى ناجٍ وهالك ، وذكرهم أيضًا في الأمم الستة التي انقسمت جملتهم إلى ناجٍ وهالك.

وذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهم ولا تنقسمان إلى شقي وسعيد ، وهما المجوس والمشركون في آية الفصل ، ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة التي ذُكِر الصابئون فيها ، فعلم أن فيهم الشقي والسعيد ، وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل (ع) ، وهم أهل دعوته ، وكانوا بحران فهي دائرة الصابئة ، وكانوا قسمين صابئة حنفاء ، وصابئة مشركين ، وطوائف منهم تصوم شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ، ويحرمون من القرابات في الزواج ما يحرمه المسلمون.

وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد ومنهم إبراهيم بن هلال الصابي صاحب الديوان الإنشائي وصاحب الرسائل المشهورة ، وأصل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وفعلاً ؛ ولهذا سموا صابئة أي خارجين.

فقد خرجوا عن تقييدهم بحملة كل دين وتفصيلة إلا ما رأوه فيه من الحق ، وكان كفار قريش تسمي النبي محمد (ص) صابي والصحابة الصباة ، والمقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم ، والحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنفية.

والمشركون شاركوا عبادة الأصنام ورأوا أنهم على صواب ، وأكثر هذه الأمة فلاسفة ، والفلاسفة يأخذون بمحاسن ما دلت عليه العقول.

وعقلائهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرِّمه، وهم يقرون أن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن العيوب والنواقص، ومنهم قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وعامر بن ضرب العدواني، وعلاف بن شهاب التميمي، والمتلمس بن أمية الكناني، وزهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبسي، وعبد الله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب، وغيرهم كثيرون).

▪ تعقيب:

الألوسي مؤرخ عراقي كبير قريب من الصابئة المندائيين، ولكنه لم يطَّلع على كتبهم، فرغم أنه أنصفهم بعض الشيء، وفسَّر الآيات القرآنية التي ذُكروا فيها بالشكل الصحيح، ولكن فاته بعض الأمور؛ حيث للصابئة المندائيين صومهم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل كل شيء حي لمدة ستة وثلاثين يومًا موزعة، والصوم الكبير الذي يحرِّم عليه كل ما حرمه الله في وصاياه لهم.
كذلك لهم قبلتهم باتجاه الشمال القصي أي باتجاه بوابة عالم الأنوار الجنة الذي يستدلون عليه برؤية النجم القطبي كدلالة لهم لا غير، أما الحج فهم ليس في أركان دينهم الحج، فأركان الدين الصابئي المندائي هي (التوحيد، التعميد، الصلاة، الصوم، الصدقة).

- شيخو اليسوعي (١٨٥٩ – ١٩٢٧م)

وذكر في كتابه (شعراء النصرانية قبل الإسلام):

(زهير بن أبي سلمى المزني، وقس بن ساعدة الأيادي، وطرفة بن العبد، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقد استنتج من إيمانهم بالله أنهم كانوا نصارى، وكان ذلك مجرد استنتاج، إلا أن كتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" للعلَّامة الألوسي والشيخ الكبير محمد بهجت الأثري، يذهب إلى أنهم كانوا على الحنفية البيضاء ملة سيدنا إبراهيم الخليل (ع) الذي يقصد أنهم كانوا صابئين موحدين.

وذلك التقارب بين بعض طقوس الدين المندائي وطقوس الدين النصراني في التعميد وغيره.

لأن أولئك الشعراء الذين تذكرهم الأساطير المندائية القديمة تؤكد صابيئتهم ؛ لأنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية والألوهية ناهجين نهج مَن اعتنقها، وليسوا يهودًا ولا نصارى بنصرانيتهم).

▪ تعقيب:

إن الصابئة المندائيين يلتقون مع المسلمين بالتوحيد، ويلتقون مع النصارى بالتعميد، ولكن المسيحيون خفَّفوا مراسم التعميد كثيرًا عبر الأزمان اللاحقة، بينما بقي الصابئة المندائيون على مراسيم التعميد القديم الذي عمَّد به النبي يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) السيد المسيح، عليهم السلام أجمعين.

- رشيد مطر الهاشمي:

نقلاً عن مجلة اليقين العراقية الصادرة في بغداد سنة ١٩٢٢م:

(إن أهل هذه الأمة يكتمون ديانتهم كل الكتمان ويضنون بها على أتباعها وعلى أهلها ، فإن الصابئي لا يكاد يعرف شيئًا من هذا الدين ، وهو محصور في صدور مشيختهم وعبادهم ، وهؤلاء بلغوا الغاية التي ما وراؤها زيادة لمزيدٍ في الحرص والتكتم.

فإن أحدهم لا يبوح بسرٍ من أسرار هذه الديانة ، سألتهم عن أصلهم فخلطوا الجواب خلطًا فعميت عليَّ الحقيقة ، حيث قالوا عنه من فارس والهند ومصر والغرب ، وقد حدثني رجل فاضل من المسلمين أن أصلهم من مصر وقد أخرجهم المصريون فهاجروا إلى فارس فذبحهم الفرس ، فهبطوا إلى وادي العراق ، فعاشوا آمنين مطمئنين ، ولا يزال قسم منهم يسكن تخوم فارس كمدينة الناصرية الإيرانية الموجودة قرب شوشتر ودسبول ، أما لغتهم فهي السريانية).

▪ تعقيب:

فيما يخص التكتم فهذا صحيح ولكن كان هذا أيام زمان ، الآن للصابئة المندائيين مراكز ثقافية متعددة وإصدارات كثيرة ومجالس تدير شؤونهم ، وهذه كلها تُدار من قِبَل نخبة مثقفة منهم وأساتذة أجلاء ، وقد ترجمت معظم كتبهم إلى اللغة العربية ، وحتى رجال الدين الذين احتكروا المعلومات كما يذكر الكاتب حاليًا انفتحوا على الناس ، فهناك المحاضرات والمناظرات والمقابلات والترجمة والتأليف وأنواع الإصدارات.

أما عن موضوع أصلهم فقد وضحنا ذلك في الفصل الأول.

أما لغتهم فهي المندائية وهي لهجة من اللغة الآرامية التي تشبه إلى حد بعيد اللهجة السريانية الآرامية أيضًا.

obeikan.com

- الأب أنستاس الكرملي (١٨٤٦ – ١٩٤٧م)

حيث قال العلامة الكرملي، نقلاً عن مجلة المشرق:

(إن كلمة صابئة مشتقة من صبَّ الماء إشارة إلى اعتمادهم بالماء ؛ لأنهم يتعمدون كما يتعمد النصارى ، والصابئة أول ديانة وُجدت بعد فساد الدين الحقيقي، وهذا الفساد يرتقي إلى ما بعد الطوفان).

▪ تعقيب:

للأب الكرملي مواقف ممتازة مع الصابئة المندائيين وهو واسع العلم كثير الإطلاع، يملك دائرة معلومات واسعة وكبيرة، وعندما اشتكى رئيسهم آنذاك الشيخ دخيل علي المؤرخ العراقي عبد الرازق الحسني ؛ بسبب تجنيه على دينهم ظلمًا وعدوانًا ولضعف معلوماته، قام الأب الكرملي في قاعة المحكمة بترجمة نصوص من كتابهم المقدس (الكنز العظيم) تسبيح التوحيد ، حاسبت المحكمة الكاتب عبد الرازق الحسني على ادعاءاته الباطلة ، وطلبت سحب الكتاب وتصحيح ما ذهب إليه الكاتب ظلمًا وجورًا.

- **فيليب حتى** (١٨٨٦-١٩٥٤م)

(إن النبي هود "ع" باني الجدار القبلي في معبد الصابئة في الشام ودُفن فيه ، ومن بعده النبي يحيى "ع" ، وقد تمَّ فيها بعد تطوير ذلك المعبد ، فأصبح كنيسة للمسيحيين ، ومن ثم جامعًا بعد ظهور الإسلام).

- **تعقيب:**

ويقصد به الجامع الأموي في دمشق قرب سوق الحميدية الآن ويوجد في هذا الجامع مرقد للنبي يحيى بن زكريا "ع".

بينما الكتب الدينية المندائية تقول غير ذلك ؛ لأن نبي الله يهيا يهانا كما يسمونه قد صعدت نشماثته (نفسه) إلى خالقها واستقرت في المثيل في عالم الأنوار ليحيا حياة ثانية أبدية ليس فيها موت كحياة الملائكة الأثريين الصالحين.

obeikan.com

- **عباس محمود العقاد** (١٨٨٩ – ١٩٦٤م)

حيث قال في كتابه (أبو الأنبياء):

(والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم؛ لأن استقلالهم باللغة الدينية ، والكتابة الأبجدية ، لم ينشأ في عصر حديث... وقد سموا بالصابئة ؛ لكثرة الاغتسال في شعائرهم الدينية وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك.

ولكنهم يطلقون على ملتهم "مندايي" ، ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر... وهم كما يشبهون الجميع يختلفون مع الجميع).

- **تعقيب:**

العقاد كاتب من الوزن الثقيل ، وهو رقم صعب بين أدباء عصره وله همة عالية وعزة نفس أعلى ، ولا يعرف بالحق لومة لائم ، أما مشابهتهم للأديان التوحيدية الأخرى ، فإما بسبب المحيط ، فالحضارات تتأثر وتؤثر ، وكذلك العادات والأعراف الدينية والعامة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالأديان التوحيدية المنزلة مصدرها واحد هو رب الناس الله جل جلاله ، وما دام المصدر واحد سبحانه وتعالى ، فالتشابه حتمًا موجود مع اختلاف اللغة.

- **عبد المنعم الغلامي** (١٨٩٩ – ١٩٦٧م)

حيث قال في كتابه (الأنساب والأسر):

(إن قس بن ساعدة الأيادي الصابئي المندائي كان مؤمنًا بالله وبالبعث والحساب وكان على دين التوحيد بمكة المكرمة).

▪ **تعقيب:**

كان قس شاعرًا وخطيبًا يجيد إجادة تامة سجع الكُهَّان، فكان يركب بعيره في سوق عكاظ في مكة ويخطب في الناس مناديًا بتوحيد الله وبالحساب.

• • • •

- **مصطفى جواد** (١٩٠٥ – ١٩٦٩م)

حيث قال في كتابه (التراث العربي):

(إن الطيب بلدة كانت بين واسط وعربستان، كان أهلها قبل أن يسلموا نبطًا على ملة الصابئة، والظاهر أن موضعها قرب العمارة الحالية، خرج منها أدباء ورؤساء وفضلاء).

▪ **تعقيب:**

مَن منا نحن العراقيون لا يعرف العلامة مصطفى جواد على الأقل في صيحته المعروفة (قل ولا تقل) فلقد كان صديقًا حميمًا لعدد من الأدباء والشعراء من ملة الصابئة المندائيين، وكان معجبًا بأدب أبي إسحاق الصابي ورسائله المعروفة وصداقته مع الشريف الرضي.

obeikan.com

- سيد قطب (١٩٠٦ – ١٩٦٧م)

حيث قال في تفسيره (ظلال القرآن):

(والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم في عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، واهتدوا إلى التوحيد وقالوا إنهم يتعبدون على الحنفية الأولى ملة إبراهيم الخليل واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال المشركون أنهم صبئوا، أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن عدد من المسلمين بعد ذلك، ومن ثم سموا بالصابئة، وهذا القول أرجح من القول إنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير، والآية تقرر مَن آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم).

▪ تعقيب:

فهذا سيد قطب الكاتب والمفسر والفقيه يقر ويعترف بوحدانية الصابئة ويرجح كفتهم بالتوحيد رغم أنه يظهر أنه لم يقرأ كتبهم... والغريب أن معظم الكُتَّاب يرون القشور ولا يرون الجوهر أي اللُب، فالصابئة المندائيون من أهل حران كانوا علماء ونوابغ في الفلك والطب والحساب والأدب، والأفلاك تسبح بها الكواكب والنجوم، فكيف يدرسون الأفلاك ولا يذكرون هؤلاء العلماء النجوم؟!

كما نقول الآن على الغربيين إنهم عبيد الآلة أو عبيد الحاسوب، وربما هناك مَن يقول مستقبلاً إنهم يعبدون الكومبيوتر ويؤمنون به.

يؤكد الصابئة المندائيون أن اسم الصابئة جاء من فعل (صبأ) المندائي الآرامي وليس من فعل (صبأ) العربي، ومصدرها (مصبتا) أي الصباغة (التعميد) الارتماس أو الغطس بالماء الجاري لغرض النقاء والطهارة.

- فؤاد جميل (المتوفى عام ١٩٧١م)

حيث قال في كتابه (بلاد الرافدين):

(فرقة دينية قديمة اسمها "مندايا" والعامة تسميها "الصبة" والفصحاء يسمونها "الصابئة" وسلفنا الصالح سماها "صابئة البطائح" والطابع المميز لهذه الفرقة أنها من اليهود واليزيدية تحصر نفسها في نطاق ضيق ولا تختلط بمَن يحيط بها، وإن تزوج الصابئي من غير صابئية خرج من الطائفة تلقائيًا وكذلك المرأة الصابئية، إن موطن الصابئة في العراق هو البطائح والعمارة والناصرية والبصرة والقرنة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوح، وقد توجد منهم جماعات في سائر مدن العراق وبيروت ودمشق والإسكندرية، وفي خوزستان في إيران، ولكن العدد هذا أخذ بالتناقص.

وقد ذُكر اسم الصابئة في القرآن مقروناً باسم النصارى واليهود باعتبارهم من أهل الديانات المعترف بها، وقد كان الكثير منهم في بلاط الخلفاء، وقام بعضهم بترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية، كما كان منهم الأطباء والمنجمون والفلاسفة والشعراء).

▪ تعقيب:

صابئة البطائح الصابئة الذين يعيشون قرب المياه البهية في جنوب العراق وعرب ستان، أما صابئة حران فهم الذين عاشوا في مدينة حران شمال العراق، وإن سبب مَن يتزوج منهم من غير دينه يخرج منهم، أولاً لأنه يختن والختان عندهم حرام؛ لأنهم يقولون إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم فيجب أن يكون كاملاً وما خلقه الله لا يبدله إنسان، وثانيًا لأن كل صابئي له اسم ديني يسمى به في عالم الأنوار، وتُجرى له الطقوس والشعائر الدينية مثل التعميد وغيرها بهذا الاسم، وهذا الاسم يعتمد أساسًا على اسم الأم الديني المأخوذ من

أمها أصلاً، فإن تزوج من غير صابئية ضاع الاسم الديني لذريته، كما أن دين الصابئة المندائيين ليس بدين تبشيري فغير جائز دخول الناس من الأديان الأخرى إليه ليحافظوا _حسب قناعتهم_ على نقاء الدم وصلة الرحم؛ ولهذا تجد أن معظمهم أقرباء أو من عوائل تربطها صلة قربى، ورغم أنهم عوائل عديدة يقولون "الصابئة المندائيون عائلة واحدة" إلا أنهم كثيرو الاختلاط بمَن حولهم، فلهم علاقات واسعة وصداقات كثيرة ومصالح مع غيرهم من الملل كبيرة وخاصة في العصر الحديث، حيث أنتشروا في المدن الرئيسية في العراق كالعمارة والبصرة والناصرية وكركوك وأربيل وخاصة العاصمة بغداد، وبعد الأحداث الجسام التي عصفت بالعراق بعد سنة ألفين وثلاثة انتشروا بهجرة عشوائية كبيرة في دول أوروبا وأمريكا وأستراليا ونيوزيلندا طلبًا للرزق والأمان.

- عبد الحميد السحَّار (توفي عام ١٩٧٤م)

نشرت له مجلة روز اليوسف المصرية مقالاً جاء فيه:

(وبعث الله النبي إدريس للناس يدعوهم إلى عبادة الله الذي له ما في السماوات والأرض ، ويحثهم على البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي أُعدت للمتقين ، فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ بآلاف السنين.

وعُرف أتباع النبي إدريس "ع" بالصابئين ، وعُرف الكتاب الذي جاءهم به كتاب (الكنزة) ، ولم تقم دعوة إدريس داخل حدود مصر وحسب ، بل ذهب إلى بلاد العرب يدعو إلى عبادة الله وحده ، وكان إدريس يعُرَف قبل أن يدوِّن البشر تاريخهم أن الأرض التي بين الفرات والنيل أمة واحدة.

فذهب إلى العراق يدعو أهلها لعبادة الله الواحد القهار ، فانتشر الصابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل.

▪ تعقيب:

السحار كاتب معروف وله مؤلفات عديدة وباحث واسع الإطلاع غزير العطاء، وصحيح أن إدريس أحد أنبياء الصابئة المندائيين ولكنه نزلت عليه بعض صحف الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) وليست كلها ، فهناك صحف تسمى صحف آدم نزلت على آدم رأس السلالة البشرية "ع" ، وصحف نزلت على سام بن نوح أحد أنبيائهم ، وصحف نزلت على النبي يهيا يهانا ، فالصحف الأولى نُقِلت شفاهًا وحُفظت على الصدور إلى أن دُوِّنت.

أما وجود الصابئة المندائيين في مصر وهجرتهم منها بعد أن أدعى فرعون مصر الألوهية وطلب منهم أن يعبدوه ، فاضطروا إلى الهجرة وعبروا بحر سوف (البحر الأحمر أو في برزخ فيه) إلى سيناء ومن ثم إلى فلسطين ، وهذه

القصة كما يذكرها الصابئة المندائيون وينسبونها لهم يذكرها اليهود وينسبونها لهم أيضًا ، والنبي هرمس ويسمى (نبي الله إدريس) يعتبره المفكرون صاحب الغنوصية الأول ومفكرها الأول ، ورجال الدين المندائيون لا يقبلون أن يُقال عن الصابئة المندائيين غنوصية ؛ لأن الغنوصيين يؤمنون بالله بالقلب إيمانًا روحانيًا ، بينما الصابئة المندائيون يؤمنون بالله بالقلب والعقل ؛ لأنهم معرفيون أي مندائيون.

والغنوصيون يدَّعون أن هيي قدمايي (الحي القديم) منزه عن الخطأ ، ولا يمكن أن يأتي الشر أو الظلام بأي حالٍ من الأحوال ؛ لهذا فهو خلق (النفس) النشماثا وخلق الملائكة الأثريين المنزهين الكاملين الأصفياء.

وأمر الحي القديم ملائكة كبار خلقهم ، وكلفهم بإكمال باقي التعليمات ، ويذهب الغنوصيون إلى أبعد من ذلك ، بوجود الله الصانع الذي أكمل الخلق بأمرٍ من الحي القديم وهو في علاه.

- أحمد الخشاب (توفي عام ١٩٧٤م)

حيث قال في كتابه "الاجتماع الديني":
(يدَّعي المندائيون أن كتبهم المقدسة سماوية المصدر، وأنها أقدم ما أوحى الله بها إلى الإنسان... فهي تمثل ما أُوحِيَ به آدم "ع"، فلا عجب إذن أن يدَّعي المندائيون أن عقيدتهم أقدم عقيدة في الوجود، واللغة التي كُتِبَت بها كتب الصابئة هي المندائية، وهي لهجة سامية قريبة من السريانية، وكلتاهما فرع من اللغة الآرامية، وكانت هذه اللغة في قديم الزمان، ويعتقد المندائيون أنها اللغة التي كان يتكلم بها آدم "ع").

▪ تعقيب:

سنلاحظ أنه كلما تقدمنا إلى الأمام زال بعض الغموض عن الصابئة المندائيين، وأصبح الباحثون والمؤرخون والكُتَّاب أكثر معرفة بهم وبدينهم وأكثر قدرة على إنصافهم وإحقاق الحق وتوضيح الحقيقة للآخرين.

• • • •

- مراد كامل ومحمد حمدين البكري:

قال الباحثان في (تاريخ الأدب السرياني ونشأته إلى الفتح الإسلامي):

(إن اللهجة المندائية ومعناها المعرفة، وإن المندائيين قبائل آرامية سكنت سهل الأردن ثم هاجرات إلى سهل ما بين النهرين، وأن أهل مدينة حران منهم يسمون أنفسهم " الناصورائيين" أي المؤمنين بالله وحده، وهم فرقة دينية من العارفين بالله).

- أبو القاسم الخوئي:

حيث أفتى في رجل أشهر إسلامه، فطالبته زوجته بالنفقة: (والصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر).

▪ تعقيب:

زار ممثل الحوزة العلمية في النجف المستشار البروفيسور حسين محفوظ الصابئة المندائيين في قاعة المندي في القادسية وكان في استقباله جمهرة من المثقفين المندائيين يتقدمهم الريشما عبد الله الرئيس الروحاني للصابئة المندائيين في حينها، وكلف الأستاذ الفاضل لعيبي خلف عضو المجلس الروحاني الأعلى بإلقاء كلمة ترحيبية بالضيف الفاضل استحسنها كثيرًا، ثم قدمت له افتتاحية (الكنزا ربا) مترجمة إلى اللغة العربية وبعد قراءتها وضعها على رأسه وقبّلها وقال والله هذا كلام الله عز وجل.

- طه باقر:

قال عالم الآثار العراقي في كتابه (تاريخ الحضارات القديمة):

(جعل الصابئة المندائيون قبلتهم جهة الشمال ؛ لأنهم اعتبروا ريح الشمال أنقى وأصح وباعثة الشفاء كون هبوبها من مناطق جبلية ، عكس ريح الجنوب المحملة بالرطوبة والثقيلة كونها آتية من مناطق الأهوار ذات الماء الآسن ، ولكون انسياب دجلة والفرات من الشمال إلى الجنوب وما لنهر الفرات من قدسية لديهم).

▪ تعقيب:

جعل الصابئة المندائيون جهة الشمال القصي قبلتهم ؛ لأنهم يقولون إن باب عالم الأنوار (باب الجنة) من هذه الجهة يحرسها ملاك كبير يسمونه أباثر (أواثر) وليس بسبب نقاء الرياح وأن دجلة والفرات ينبعان من الشمال ، والسؤال هل كانت قبلة الصابئة المندائيين في مصر جهة الجنوب لأن النيل ينبع من الجنوب إلى الشمال؟ هذا منطق ليس له أساس من الصحة ولكنه اجتهاد ؛ لأن العلامة طه باقر عالم جليل.

Obeikan.com

- أحمد سوسه :

جاء في كتابه (العرب واليهود في التاريخ):

(يُعتَقد بأن جماعات نزحت من جزيرة العرب إلى وادي النيل واستقرت بحدود الرابعة (ق.م) فجاءت هذه الجماعة إلى مصر من برزخ السويس أو عن طريق جنوب الجزيرة عبر مضيق باب المندب ، ومعها حضارة أرقى مما كان في مصر فجاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية ، وأدخلت معها معرفة المعادن... إلخ).

▪ تعقيب :

فن التحنيط فن برع فيه الفراعنة وكل الحفريات والآثار تنسبه إلى الحضارة الفرعونية ولا يوجد مثيله في جزيرة العرب.

obeikan.com

- إبراهيم السامرائي:

من مخطوطة عن النبي يحيى "ع":

(قد فات الباحثين أن يعرفوا أن الصابئة المندائيين هم من الطوائف الدينية التي كان العراق الجنوبي من مستقراتها ، تتخذ من يحيى نبيها الذي تقدسه وتتجه إليه).

▪ تعقيب:

نعم ، استقر الصابئة المندائيون في جنوب العراق وفي مناطق عربستان على حافات الأهوار وعلى ضفاف دجلة والفرات والكارون والكرخة ، وأن خاتم أنبيائهم يهيا يهانا "ع" الذي أسماه المسلمون يحيى ؛ لأنهم يعطون أهمية للاسم الأول ، وأسماه المسيحيون يوحنا ؛ لأنهم يعطون أهمية للاسم الثاني وأعطوه صفة المعمدان ؛ لكونه عمَّد السيد المسيح في نهر الأردن.

obeikan.com

- محمد الفرحاني:

ذكر في كتابه (أقوام تجولت بينها فعرفتها):

(الصابئة قوم من أصحاب الديانات القديمة لعلها أقدم ديانة عرفتها البشرية ، وهؤلاء القوم يوشكون أن ينقرضوا ، وهم يكتمون ديانتهم أشد الكتمان ويضنون بها على ملتهم وهم يعتقدون ، بأن الخالق واحد أزلي أبدي ، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد ، وأنه علة وجود الأشياء ومكنوناتها ، ولا شك في أن اعتقادهم هذا بالخالق لا يختلف البتة عن اعتقاد المسلمين فيه ، ويعبدون الله ويوحدونه ، ويرون أن لكل كائن وجودًا علنيًا وسريًا ، فالعالم السرى عالم فسيح أكبر من العالم العلني المسكون ، وهو عالم مستور عنا لا يمكننا مشاهدته في حياتنا ، ويعتقدون أن سكان ذلك العالم هم بشرٌ مثلنا ، لكنهم منزهون عن كل وصمة ، ولا يخلو ذلك من موت وفناء ، إلا أن الذي يموت هناك ينقل فورًا إلى عالم الأنوار من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب ، وأن اسم ذلك العالم "مشوني كشطه" أي "عالم العهد" أما العالم الثاني المدعو "أرض تيبل" أي "الأرض البالية" فهو عالمنا المنظور.

ولما كان الوجود السري مثلاً للوجود العلني ، كان للعالم السري آدم خاص به يدعى (آدم كسيا) ويسمون زوجته "كانات" أي "تامة الجمال" كما لنا آدم وحواء، ولكي يتخلص الصابئة من قضية زواج الأخوة من أخواتهم من أبناء آدم وبناته منذ بدء الخليقة قالوا:

إن لكل من هذين الآدمين أولاد وبنات ، فجمع بينهما "هيبل زيوة" وزوج كلاً منهما بأخت الآخر ليتم التناسل البشري على طريقة مشروعة ؛ لأنهم لا يقرون الزواج ببنت الأخت أو ابنة الأخ، وأنهم يتبعون تعاليم آدم "ع".

غير أن تقادم العهد على الرسول الأول ونشوء بعض المذاهب الزائفة، تحولت إلى وثنية وأُدخلت عليها تعاليم غريبة، فجاء يحيى بن زكريا "ع" ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة، وكان نبيًا ورسولاً خاصًا بهم.

ويتكلم الصابئة اللغة المندائية وهي أقرب إلى السريانية من غيرها، ويعتقد الصابئة أن لغتهم هي التي تكلم بها آدم "ع"، أما صفاتهم فهم أهل زهو وصلاح قريبون من الخير بعيدون عن الشر، والسائل لا ينهرونه حين يطرق أبوابهم ومجالسهم، بل يعاملونه كأحدهم برقة واحترام.

ويصوم الصابئة كصيام المسلمين في أيام مختلفة من السنة، ويصومون كصيام النصارى ثلاثين يومًا مقسمة على أيام أشهر السنة، ويصلون بعد غسل ووضوء، فالغسل عند الجنابة واجب كل الوجوب كما هو الحال عند معشر المسلمين.

ويزعم الصابئة أن سيدنا آدم كان يصلي سبع مرات في اليوم، خمسًا منها في الأوقات التي يصلي بها المسلمون حاليًا واستمرت عندهم الحال على هذا المنوال حتى ظهور النبي يحيى "ع" الذي جعلها ثلاثًا.

▪ تعقيب:

نرى كلما تقدم بنا التاريخ أصبحت معرفة الباحثين بالصابئة المندائيين أدق وأحسن، فهذا كاتب سوري حاول أن يعيش فترة من الزمن قربهم وأن يفهم بعض الأمور مباشرة منهم، ففهم واستوعب أشياء كثيرة ولكن زيادة في التوضيح نقول:

إن الدين المندائي يؤكد أن لكل إنسان مثيلاً (دموثا) موجودًا في عالم الأنوار أُخذت منه النشماثا (النفس) عند الصيرورة في رحم الأم، ووفق الفكر المندائي فكل شيء يعود لأصله، فبعد الوفاة يعود الجسد إلى الطين؛ لأنه جُبِل من طين

، وتعود النفس (النشماثا) إلى المثيل الذي أُخذت منه الذي يسمونه (الدموثا) الموجود في عالم الأنوار.

أما زواج أولاد آدم وبناته فحسب الفكر المندائي، أن الله أمر أن يرسل المثلاء لبنات آدم ليتزوجوا أولاده وأن يرسل المثلاء لأولاد آدم ليتزوجوا بناته، وهكذا فأصل الناس وذرية آدم صالحة نقية لا تشوبها شائبة، لا كما يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى:

إذا مـــــا ذكرنـــــا آدم وفعالـــــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنـــا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

هكذا سمعته في أحد المجالس الثقافية والعهدة على الراوي، وعلى مصداقيته، وعلى قدرتي على الحفظ الشفوي.

- د. خزعل الماجدي:

ذكر في كتابه الموسوم "جذور الديانة المندائية":

"إنني أرى أن الديانة السومرية، بعد زوال النفوذ السياسي للسومريين ودخول المؤثرات الأكدية والأمورية لم تستسلم بهذه السهولة، وصحيح أن كل عناصرها انتقلت أفقيًا إلى الديانة البابلية، لكنها أيضًا انتقلت إلى العمق وأصبحت هذه الديانة تُمارَس سريًا بعيدًا عن المشهد المجلل والمنتصر للعناصر الأكدية والبابلية.

إن الدين الجديد الذي أتى به الأكديون ثم البابليون لم يعد يسمح مطلقًا للطقوس واللاهوت والمثولوجيا السومرية أن تُمارَس كما كانت تُمارَس أيام السومريين، سواءً كان اضطرار الدين السومري إلى السرية والخفاء قد حصل نتيجة اضطهاد ديني أو بشكل طبيعي.

فالمهم أن هذه الديانة بقيت عند فئة سومرية معينة لا بد أن تكون قصية وبعيدة عن الأنظار وفي أطراف يصعب الوصول إليها كالأهوار، وفي هذه النقطة نرى أن الديانة الصابئية قد بدأت من المناطق السرية للديانة السومرية.

إن أصول الديانة الصابئية القديمة تكمن في الديانة السومرية، لكن نشأتها تبدأ مع النمو الباطني للسومرية تحت شبكة العقائد الأكدية والبابلية الجديدة، إن هذا وحده هو الذي يفسِّر قول المندائيين عن دينهم بأنه أقدم دين ظهر على وجه الأرض، وبعبارة واحدة يمكننا القول إن الدين المندائي هو بقايا الدين السومري)".

وللكاتب مقارنة بين الدين السومري والدين المندائي ترتكز على ثلاث ركائز:

١- الماء: تشترك الديانتان السومرية والمندائية في تقديس الماء الحي الجاري.
٢-النور: وهو الجوهر الثاني في الديانتين السومرية والمندائية.
٣-الظلام: وهو الجوهر الثالث في الديانتين.

ويستطرد الباحث الماجدي فيقول:

(إن العلاقة الخلاقة لجوهر الماء والنور والظلام في الديانتين المندائية والسومرية ملفتة للنظر حقًا ولم نجدها في أي عقيدة دينية أخرى بهذا الشكل المتداخل والمتواشج ، وهذا يعني أن جوهر العقيدة الدينية لكليهما من أصلٍ واحد قد يمتد إلى ما قبلها عندما ظهر الإنسان في جنوب العراق في الألف الخامس ق.م ، وكوَّن حضارة أريدو والعبيد).

كذلك قال الباحث العالم الماجدي (ليس هناك دين اهتدى دفعة واحدة إلى التوحيد ، بل إلى التوحيد متدرجًا ومر بتاريخ طويل).

أذكر مرة أني حضرت محاضرة في نادي التعارف للدكتور الماجدي ، حيث قال في محاضرته:

(لو تصورنا رأس بصل ، فإن الديانة المندائية هي لُب هذه البصلة ، وإن الديانات الأخرى ما هي إلا أغلفة تحيط بهذا اللب).

وقد اعترض على ذلك عدد من الأساتذة الحاضرين حسب وجهة نظرهم وحسب تعصب كل واحد لدينه ؛ لأن كل واحد يعتقد أن دينه هو الصحيح وهو الأسمى والأحسن بين الأديان.

تذكرت أني قرأت في دائرة الحضارة لمؤلفها ول ديورانت في زمن الخان على أكبر خان عظيم المغول عندما سيطروا على معظم بلدان العالم وأسسوا عاصمتهم في الهند ويقال إنه كان مثقفًا واسع الإطلاع ، طلب من رجال دين مملكته المترامية الأطراف أن يتفقوا معه على توحيد الأديان في دينٍ واحد وكتابٍ واحد يؤخذ من جميع الكتب الدينية ما هو مشترك وما هو متفق عليه وما يفيد البشر والإنسانية ، وتُحرق باقي الكتب ويُعتمد على هذا الكتاب الجامع.

فرفض رجال الدين الفكرة وكلٌّ منهم قال إن دينه مُنزَّل وله رب يحميه وعليه يجب اعتماد هذا الدين دون سواه ، فأمر أن يشعل نارًا كبرى بحطبٍ كثيرٍ وأن

يصطف رجال الدين واحدًا بعد الآخر ، كل واحد يمسك كتابه في يمينه ويدخلون النار واحدًا بعد الآخر ، فإن خرج أحدهم من الجهة الثانية من النار سالمًا وكتابه في يمينه نتبعه جميعًا ويكون دينه دين الجميع وكتابه كتابًا لكل الناس.

وبينما الحرس منشغلون في إعداد النار وإشعالها تسرب رجال الدين واحدًا بعد الآخر ولم يبقَ منهم واحد.

opeikan.com

- د. خزعل الماجدي:

حاصل على درجة الدكتوراة في التاريخ القديم، كاتب غزير الإنتاج، أعطى اهتمامًا خاصًا لدراسة الدين المندائي وأصدر كتابًا قيمًا عنهم (جذور الديانة المندائية)، وهناك عدد من المعترضين على أفكاره وتفسيراته ومقارناته، له العديد من الإصدارات في العقائد والأفكار والميثولوجيا والطقوس للحضارات القديمة وخاصة حضارات بلاد ما بين النهرين، ألقى محاضرات عديدة في الجمعيات المندائية والمراكز الثقافية، كاتب متبحر وكأنه دائرة معارف في مجال اختصاصه، يعتقد أن المندائية تمثل الغنوصية الآرامية:

(الغنوصية وتعنى العرفان، وهي معرفة الأسرار الإلهية عن طريق الشعور والقلب لا عن طريق العقل والحكمة.

وهي عقيدة باطنية قياسًا إلى العقائد الظاهرية كعمل ودين، والغنوصية شرقية المنشأ، وإن تاريخها كنزعة تعتني بالسري والباطن يغوص في التاريخ ليصل إلى سومر، التي كانت عقيدتها التموزية عقيدة غنوصية النزعة. لكن المناخ الذي ظهرت فيه الغنوصية كتيار عقيدة فلسفية كان مناخًا آراميًا، وقد ساهم هذا المناخ وهذه النزعة بظهور الأديان التوحيدية (اليهودية والمسيحية).

ولعل أبرز مظاهر الغنوصية الآرامية قد تجلت في العقيدة المندائية، وهي معتقد صابئة البطائح في جنوب العراق، ويبدو أن هذا الشعب العريق الجذور الآرامي الأصل أعاد صياغة عقائده القديمة وفق نوع جديد من العرفان يسمى (مندا)، وكلمة غنوص كلاهما تعني العرفان أي معرفة صفات الله وأسراره.

انتعشت العقيدة المندائية في القرون الأولى للميلاد وسُمِّي أصحابها (المغتسلة)، وكانوا ينتشرون من ميسان حتى الكوفة وبابل.

ويذكر أن النبي ماني كان أحد أتباعهم لأنه شبَّ على المندائية في بداية حياته، ثم قام بدمجها بالعقيدتين المسيحية والزرادشتية بطريقة غنوصية.

وتظهر لنا اللغة المندائية كلغة عقيدة آرامية للصابئة المندائية في جنوب العراق إلى يومنا هذا ، يستعملون في حياتهم الدينية وما زالت الكتب المندائية المقدسة مكتوبة بها ، وأكثر الكتب قداسة هو كتاب (الكنزا ربا) المكتوب باللغة المندائية.

إن عقائد الأسرار هي ما تشترك به المندائية والغنوصية ، حيث تشكل هذه الأسرار الإلهية وفق رؤى باطنية سريعة عميقة لا يستطيع الإنسان العادي إدراكها بل تستوجب نوعًا نادرًا من المعرفة الإلهية الخاصة ، ولهذا يسمي المندائيون أنفسهم بهذا الاسم الذي يعني المعرفيين أو المعارف أو العرفانيين.

واسم المندائية اسم شرقي ؛ لأن منشأ العقيدة آرامي شرقي ، أما كلمة الغنوصية كلمة يونانية (لاتينية) لاحقة لهذه التسمية.

كان الآراميون يؤمنون أن الإنسان عندما يموت يذهب إلى العالم السفلي ، وكان القبر مدخلاً لهذا العالم الذي تتجمع فيه الأرواح.

فالسومريون يسمون العالم السفلي (كور) والبابليون والأشوريون يسمونه (آرالو) والمصريون يسمونه (دوات) أما المندائيون فيسمونه (آلمه دهشوخا) أي عالم الظلام ، ويذكر الكاتب أن جثة الميت مقدسة ، وأن الآراميين يميزون بين الروح وهي على قيد الحياة ويسمونها (فنمو) والروح بعد الممات ويسمونها (روح) ، وأن طقوس النواح والبكاء على الميت كانت موجودة عند الآراميين ، وأن النصوص الآرامية لا تخبرنا عن طبيعة عالم ما بعد الموت بالتفصيل... كما لا تخبرنا عن وجود أو عدم وجود حساب أو عقاب أو ثواب أو جنة أو نار. ويستطرد الكاتب بالقول: إننا لا نرى أثرًا لهذه العقائد في فكرها العقائدي ؛ ولذلك نستطيع أن نستنتج أن الآراميين لا يملكون أفكارًا عن الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار ، فقد اكتفوا بالفكرة البسيطة عن الموت المحتم للإنسان وعن نزول الروح سجينة إلى العالم الأسفل).

▪ **تعقيب:**

بدايةً هناك فرق بين الغنوصية كفكر وبين الفكر المندائي ، ولو أن الاثنين يعنيان المعرفة ، فالغنوصية تؤمن بوجود الله المتعالى ووجود الله الصانع ، وأن الله تتم معرفته بالحس والشعور ومواجد القلب ، أما المندائية فتؤمن بوجود الله هيي قدمايي ملك النور السامي وبوجود الملائكة النوارنيين الذين يكلفهم الله بالتعليمات ، وأن معرفة الله تتم بالعقل والمعرفة وبالشعور ، والمندائيون يؤمنون أنهم جذور التوحيد الأول ، وأن الأديان التوحيدية كلها جاءت بعدهم وهم أصل التوحيد ، أما عن الكتب المندائية فصحيح أنها مكتوبة باللغة المندائية ولكنها اليوم تُرجِمت إلى لغات عديدة ويمكن للباحث أن يطلع عليها وأنها ليست حكرًا لرجال الدين أو لأبناء الطائفة حصرًا.

المندائيون لا يؤمنون أن الإنسان عندما يموت يذهب إلى العالم السفلي وأن جثة الميت مقدسة ، وأن الروح ستعود إليها كما كان يؤمن الفراعنة ؛ ولهذا اهتموا بتحنيط الجثث والاعتقاد بها.

إن المندائيين يؤمنون أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي الجسد ، النفس ، الروح ، وثلاثة عناصر ثانوية هي العقل ، القلب ، الضمير.

الجسد فانٍ جُبِل من تراب ويعود للتراب وهو جذع حُبست فيه النشماثا (النفس + الروح) مدة حياة الإنسان.

أما النفس فهي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة ؛ لأنها هبة من الحي العظيم (الله) لا تُحاسَب ، والروح هي الأعمال والفعاليات التي يرتكبها الإنسان من المهد إلى اللحد ، فإن كانت صالحة لا يُحاسَب عليها وإن كانت طالحة فهناك محطات الحساب (المطراثي) تحاسب الروح فيها لأن حسناتها وسيئاتها توزن في ميزان شيتل عند الملاك أباثر فإن ثقلت حسناتها تتحد مع النفس وتذهب إلى مشوني كشطة (عالم النور الأول) لتحيا حياة ثانية أبدية دون مرض أو شيخوخة أو موت ثانٍ ، أما إذا ثقلت سيئاتها فتذهب للحساب ، أما العقل فهو مركز التفكير

والمعرفة ، والقلب مركز الطاقة والحياة والحب والحنان ، والضمير يعني الصدق والأمانة والنزاهة والإنسانية.

وللكاتب خزعل الماجدي كتاب قيم (الجذور الحقيقية للديانة المندائية) وكتاب (أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر) ، يؤكد أن المندائية أقدم ديانات التوحيد عالمها أبعد من السماء ، وهو دين توحيدي عرفاني جاء قبل الأديان التوحيدية المعروفة ويُعتبر من أعرق الديانات الموجودة.

opeikan.com

- الكاتب صباح الموسوي:

كتب مقالاً بعنوان: صابئة الأحواز (المندائيون) بين اضطهاديين

(مما لا شك فيه أن وجود الأثنية في أي شعب أو مجتمع هو ثروة حضارية ؛ بحكم أن هذه الأثنية قومية كانت أو دينية، تحمل آدابًا وثقافات متباينة، وأن كلاً منها تعمل على إغناء وتطوير ما لديها من خزين ثقافي حضاري ؛ وذلك للحفاظ على ذاتها وإبراز شخصيتها وبالوقت نفسه تكون قد أثرت الرصيد الثقافي والتراث الحضاري للمجتمع أو البلد الذي تنتمي إليه.

ومن هنا فإن شعبنا العربي الأحوازي يعد من الشعوب العريقة في المنطقة ؛ وذلك لما يمتلكه من تراث وثقافة غنية ولها جذورها الضاربة في التاريخ التي تم إنجازها بفضل جهود أبنائها الذين شكلت الأثنية الدينية والمذهبية لوحة فسيفسائية في إنتاجهم العلمي والأدبي ، وكأي شعب عريق فقد وُجِد من بين أبناء شعبنا مَن آمن بالموسوية ومنهم مَن آمن بالنصرانية ، ومنهم مَن آمن بالمندائية (الصابئة) ، إلى جانب الأغلبية الذين آمنوا بالإسلام عقيدةً ونظامًا ، وكلٌّ من هذه التيارات العقائدية ساهم بعلمه وأدائه في إغناء الهوية الثقافية والتراث الحضاري لشعبنا ، هذا الإرث الذي يشكل جزءًا من الرصيد الحضاري العربي والإسلامي.

ومن بين الطوائف التي ساهمت في إغناء تراث شعبنا وثقافته هم الصابئة (المندائيون) الذين برز منهم رجالات علم وأدب وثقافة ساهموا في بناء حضارة الأمة وتراثها من خلال ما أنجزوه في مجالات العلوم والآداب والفنون ، وكان من هؤلاء العلماء المشاهير ثابت بن قرة الذي كان طبيبًا وفيلسوفًا بارعًا في علم الرياضيات ، وكذلك سنان بن ثابت بن قرة وكان رئيس الأطباء في بغداد زمن الخلافة العباسية ، وكان منهم أيضًا البتاني وهو عالم رياضي وفلكي وله كتابات مهمة في علم الفلك ، وهناك غيرهم من المهندسين والفلكيين والأدباء من أبناء ذات الطائفة.

إلا أن هذه الطائفة المعطاءة لم يكن حالها أفضل من أحوال سائر أبناء الشعب الأحوازي طيلة العقود الماضية من عمر الاغتصاب الفارسي لأرض الأحواز وشعبهم، لقد عانى المندائيون من اضطهاد قومي وديني مزدوج حيث حرمتهم الأنظمة الفارسية العنصرية من ممارسة شعائرهم الدينية وحقوقهم القومية بعد أن استثنت ديانتهم التوحيدية من ضمن الديانات المعترف بها في دستور الدولة الذي تمت صياغته على أسس عنصرية وطائفية مقيتة.

فقد اقتصر اعتراف الدستور الإيراني الراهن في مادته الثالثة عشر على الديانة الزرادشتية (المجوسية) واليهودية والمسيحية، واستثنى منها الصابئة الذين أورد القرآن الكريم ذكرهم في ثلاث آيات محكمات وهي الآية ٦٢ من سورة البقرة والآية (٦٩) من سورة المائدة، والآية (١٧) من سورة الحج، وكما هو معلوم أن الصابئة قوم يأخذون بنبوة يحيى بن زكريا عليه السلام، وهم من الموحدين وهم الأقرب للإسلام من المجوسية، إلا أنه ولدوافع قومية عنصرية رفض نظام الجمهورية الإسلامية الاعتراف بالصابئة الأحوازيين الذين يفوق عددهم الزرادشتيين واليهود على حدٍّ سواء.

فالزادشتيون الذين يبلغ عدد نفوسهم (٢٥) ألف لهم عضو في البرلمان، وكذلك اليهود الذين يبلغ عدد نفوسهم (٣٦) ألف أيضًا لهم ممثل في البرلمان، وهم يحظون بكامل حقوقهم السياسية والثقافية ولهم مدارسهم التي تدرس لغتهم العبرية ولهم صحافتهم وأهمها صحيفة تموز اليهودية، هذا ناهيك عن الأرامنة الذين يحظون بوضعٍ خاصٍ شبيهٍ بإدارة ذاتية كاملة في جميع المناطق التي يقطنونها ولهم ثلاثة أعضاء في البرلمان.

الآن الصابئة بقوا محرومين ليس من حقوقهم القومية فقط وإنما من حقوقهم الدينية أيضًا، فما زال أبناء هذه الطائفة يهربون للقرى والأرياف لأداء شعائرهم العبادية، ويبنون مراكزهم الدينية من أكواخ القصب؛ خوفاً من ملاحقة السلطات الفارسية التي حرمتهم من بناء أي معبد أو مركز ديني لهم،

وقد وجه بعض المثقفين ورجال الدين من أبناء الطائفة عدة رسائل إلى المسؤولين في النظام الإيراني وعلى رأسهم على خامنئي على أمل الحصول على موافقة السلطات الغاصبة بالسماح لهم ببناء مركز ديني ، إلا أن الحقد العنصري والطائفي منع هذه السلطات الفارسية من الموافقة على هذا الطلب المشروع إنسانيًا ودينيًا.

ومن هنا نجد أن أبناء الصابئة الأحوازيين يعانون من اضطهاد مضاعف في الوقت الذي يتصارخ فيه المسئولون الإيرانيون بدعواتهم لما يسمى بحوار الحضارات وحوار الأديان وهي صرخات دعائية تخلو من أي مضمون حقيقي، ولا نعلم كيف يريد هؤلاء المسئولون للعالم أن يصدق دعواتهم هذه ودستورهم قائم على العنصرية والطائفية العمياء وممارساتهم ضد شعوبهم القائمة على الاضطهاد).

- **تعقيب:**

الصابئة المندائيون في الأحواز لهم جالية مندائية كبيرة حاليًا في أستراليا وقد اندمجوا مع المندائيين المهاجرين في العراق وأسسوا جمعيات ومراكز ثقافية ومركزًا دينيًا ، كذلك العلاقة وثيقة بين المندائيين الذين يعيشون في العراق وإيران ودول المهجر ، ويتميز الصابئة الأحواز عن غيرهم أنهم يجيدون اللغة المندائية وهي لغة المحادثة عندهم، ولكن بحدود.

- أبكار السقاف:

كاتبه يمنية عاشت في السعودية وتتلمذت على يد عباس محمود العقاد في مصر، لها مؤلفات عديدة منها (نحو آفاق أوسع) في أجزائه الأربعة ، مُنِعت كتبها من النشر ولكن أختها ضياء السقاف نشرتها كما أرادت صاحبتها ، وكما تمنت لتنير العقل الإنساني وتطلعه على حقائق الأمور.

ومن كتابها الموسوم (الدين في شبه الجزيرة العربية):

(ديانة الصابئة هي أحد الأديان الإبراهيمية وهي أصل جميع الأديان ؛ لأنها أول الأديان الموحدة ، وأتباعها من الصابئة يتبعون أنبياء الله آدم ، شيت ، إدريس ، نوح ، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا ، وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين ، ولا يزال يوجد أتباعها موجودين في العراق ، كما أن هناك تواجد للصابئة في إقليم الأحواز في إيران الآن ويطلق عليهم في اللهجة العراقية (الصبة) كما يسمون ، وكلمة الصابئة مشتقة من الجذر (صبا) والتي تعني باللغة المندائية (اصطبغ) ، غطَّ أو غطس في الماء ، وهي من أهم شعائرهم الدينية ، وبذلك يكون معنى الصابئة أي المصطبغين بنور الحق والتوحيد والإيمان.

تدعو ديانة الصابئة للإيمان بالله ووحدانيته مطلقة لا شريك له ، واحدًا أحد ، وله الأسماء والصفات عندهم مطلقة ، ومن جملة أسمائه الحسنى ، والتي لا تعد ولا تحصى عندهم (الحي العظيم ، الحي الأزلي ، المزكى ، المهيمن ، الرحيم ، الغفور) حيث جاء في كتاب الصابئة المقدس (الكنزا ربا): **باسم الحي العظيم: (هو الحي العظيم ، البصير ، القدير ، العليم ، العزيز ، الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول ، والسمع ، والبصر ، والشفاء ، والظفر ، والقوة ، والثبات ، مسرة القلب ، وغفران الخطايا)**

إن الله انبعث من ذاته ، وبأمره وكلماته تكونت كل الأشياء وجميع المخلوقات ، والملائكة التي تمجده وتسبحه في عالمها النوراني كذلك بأمره ثم خلق آدم

وحواء من الصلصال عارفين بتعاليم الدين المندائي، وقد أمر الله آدم بتعليم هذا الدين لذريته لينشروه من بعده.

يعتقد الصابئة بأن شريعتهم الصابئية الموحدة تتميز بعنصري العمومية والشمول، فيما يختص ويتعلق بأحكامها الشرعية المتنوعة، والتي عالجت جميع جوانب وجود الإنسان على أرض الزوال (تيبل).

ودخلت مفاهيمها في كل تفاصيل حياة الإنسان، ورسمت لهذا الإنسان نصيحة ومنهجية فيها، فتميزت هذه الشريعة بوقوفها من خلال نصوصها على مفردات حياة الإنسان الصابئي، فاستوعبت أبعادها، وشخصت تطورها، وأدركت تكاليفها، ودخلت في تفاصيلها، فهي شريعة الحي القيوم، وشريعة أول أنبيائه (آدم وشيتل ونوح وسام بن نوح وإدريس ويحيى) مباركة أسماؤهم أجمعين.

وعندهم أن الإنسان الصابئي المؤمن التقي يدرك تمامًا أن (القوة الغيبية) هي التي تحدد سلوكه وتصرفاته، ويعلم أيضًا أن أي إنسان مؤمنًا ضمن الإطار العام لهذا الكون الواسع وضمن شريعته السماوية اليهودية والمسيحية والإسلامية، يشاطره هذا الإدراك العام، حيث أن مصدر جميع هذه الأديان الله مسبح اسمه.

واعتبرهم مشايخ المسلمين من أهل الذمة؛ لأن جميع شروط وأحكام أهل الذمة تنطبق عليهم؛ لكونهم أول ديانة موحدة، ولهم كتابهم السماوي، وأنبياؤهم التي تجلها جميع الأديان، مع ذكرهم في القرآن الكريم، ولكونهم لم يخوضوا حروبًا طيلة تعايشهم مع الأديان الأخرى التي تهتم بالتوحيد، وعند دخول سعد بن وقاص العراق وعدهم بالأمن والأمان).

▪ تعقيب:

إنها تقول إن الصابئة المندائيين أحد الأديان الإبراهيمية ولا تذكر اسم النبي إبراهيم ضمن أنبيائهم حين تذكرهم بالترتيب ، وتذكر أن له أسماء عديدة في الحقيقة هذه صفات الحي العظيم لكن الدين المندائي يعلمنا أن للحي العظيم تجليات تجلَّى بها في أيام البرونايا البيضاء (البنجة):

في اليوم الأول منها تجلى هيي قدمايي ملك النور السامي ،

وفي اليوم الثاني منها تجلى الحي العظيم رب العظمة ماري دريوثا ،

وفي اليوم الثالث منها تجلى الحي العظيم عارف الحياة منداهي ،

وفي اليوم الرابع منها تجلى الحي العظيم الحق الكامل ،

وفي اليوم الخامس بدأت الحياة وتفجرت الينابيع الحية العذبة وجرت اليردنا في الأنهار ، وبدأت الحياة الملائكية في عالم الأنوار ، وتكونت جنة الحي العظيم في العالم العلوي.

أما خلق آدم... (وخلقنا آدم من الطين الأحمر ومن الدم والمرارة وأسرار الكون).

الشريعة المندائية فيها الشعائر والطقوس مثل بقية الأديان الموحدة ، وهذه الشعائر والطقوس هي التي تميز دينًا عن دين آخر ، وكذلك منها الفكر المندائي العميق الذي يمثل جوهر الدين المندائي ، ويُلاحَظ أن القسم الأيسر في (الكنزا ربا) يركز على النفس (النشماثا) بتسابيح عديدة موضحًا مفصلاً من أين تأتي النفس وكيف تستقر في الجسد وكيف تغادر الجسد وكيف تعود للتمثيل في عالم الأنوار ، وهذه تنفرد بها الديانة المندائية بهذا التوضيح الفريد الدقيق ، وشرح وافٍ عن خلق آدم ومراحل خلقه مع حواء ، فقد خلق في هذه الآلمة (العالم) وعاش ومات في هذه الآلمة.

من الضروري قراءة كتاب أبكار السقاف (الدين في شبه الجزيرة العربية) للإطلاع على جزءٍ من الحقيقة.

- الشيخ بسَّام جرار:

مَن هم الصائبة؟

الصابئة موجودون مثلما توجد اليهود والمسيحية والإسلام.
والمفروض سؤالهم لماذا سُمِّيتم بالصابئة المندائيين؟
الصابئة تؤمن بأربعة أنبياء: آدم ، شيتل بن آدم ، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا.

لهم كتب دينية ويؤمنون أنهم أول الموحدين ، لهم كتب دينية عديدة ، هربوا من فلسطين سنة ٧٠م وأنا أرى أنهم تركوا فلسطين وجاءوا إلى بلاد ما بين النهرين قبل هذا الزمان ، بمعنى أنهم لو كانوا في فلسطين بعد وفاة يحيى لاتبعوا السيد المسيح ؛ لأن نبيهم يحيى بُشِّر بمجيء المسيح مثلما بُشِّر السيد المسيح بمجيء النبي محمد ، ولكن الناس لم تصدق في الحالتين ؛ لأن الناس تخالف أي شيء ضد المألوف.

سُمِّي الصابئة المندائيون بالصابئة أي الذين يصطبغون بالماء وهو أهم طقس ديني عندهم أي الصبغ في الماء الجاري ؛ ولأن الغين عندهم همزة قيل الصابئة من الفعل صبا ، وتتم الصباغة في اليردنا المأخوذة من نهر الأردن.

الصابئة تقول يهيا الصابئ أي يحيى الصابغ ، وورد ذكرهم في القرآن ملازمًا للمسيحيين إذ يقول (الصابئون والنصارى) ، ويقول (النصارى والصابئين) في سورة أخرى ، ومن غير المعقول إن يكون معنى كلمة صبأ من خرج عن دينه ؛ لأنه لا يمكن أن يقول القرآن (والذين آمنوا والذين هادوا والذين غيروا دينهم وخرجوا عن دين الحق) ، ومن الخطأ تفسير كلمة صبأ من العربية ، ويجب سؤالهم لِمَ سميتم أنفسكم صابئة وهم يجيبون على هذا السؤال لأنهم موجودون؟).

أما عن منشأ الصابئة هل في فلسطين أم بلاد ما بين النهرين؟

فقد اختلف فيها الباحثون ، وعمومًا الصابئة المندائيون عبر التاريخ قوم مهاجرون طلبًا للرزق والأمان ، وقديمًا الرزق والأمان والماء الجاري ؛ ولهذا تجدهم يعيشون قرب الأنهار الجارية.

تطور الحال حاليًا عند عددٍ كبيرٍ منهم وخاصة صابئة العراق وأسسوا الأحواض وصمموها على أن يكون الماء فيها جاريًا ، أي له مدخل ومخرج لكي يتجدَّد ؛ لأن الصباغة تعني الطهارة وتجديد الحياة.

▪ تعقيب:

رجل دين مسلم له أسلوب جميل في إلقاء المحاضرة، ويبذل جهودًا مُرضيةً في إقناع مستمعيه، لكن معلوماته محدودة:

إذ أن كلمة صابئة لم ترد في الكتب الدينية المندائية وإنما وردت في القرآن الكريم في ثلاث سور (البقرة ، المائدة ، الحج) ، إذن فهي تسمية إسلامية ، والصابئة يسمون أنفسهم بالمندائيين ، أي أهل المعرفة أو العرفانيين ولكنهم عُرِفوا باسم الصابئة و(الصابئون) ، ويقول بعض المفسرين أنها من كلمة صبغ أي أنهم الصابغون ويسمونهم المسيحيون المعمدانيين ، ويُسمَّى يحيى باسم يوحنا المعمدان ، أي الذي يُعمِّد الناس بالماء الجاري ، ويسمونه المسلمون يحيى الصابغ بمعنى الذي يصبغ الناس بالماء الجاري ، ويسميه المندائيون يهيا يهانا ، والظاهر أن المسلمين قد أخذوا كلمة يهيا فسموه يحيى كما ورد ذكره في القرآن ، وأخذ المسيحيون كلمة يوهانا فسموه يوحنا ؛ لأن العرب تعتمد الاسم الأول ، والغربيون يعتمدون الاسم الثاني ، أما كلمة صبأ العربية أو كلمة صبأ الآرامية فهي اجتهادات لعددٍ من المفسرين ، وكما قال الشيخ بسام جرار اسألوا الصابئة أنفسهم ؛ لأنهم موجودين.

- د. زيد الفضيل:

حكاية الصابئة المندائيين في ذاكرة إنسان:

مَن هم الصابئة المندائيون؟ وأين أماكن وجودهم اليوم؟

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج، وهكذا يتكرر اسمهم مع اسم الإسلام والنصارى واليهود، فهم إذن أهل كتاب من الموحدين، ولهم كل حقوق أهل الكتاب طالما بقي منهم أحد.

ترجع أصولهم إلى شعب آرامي عراقي قديم، استوطنوا وسط العراق في التاريخ القديم، وكانت لغتهم الآرامية هي السائدة.

واهتم المندائيون باللغة والكتابة؛ ولهذا أصبحوا في العصر الساساني هم الكتبة والنُسَّاخ الأساسيين في كل اللغات السائدة في ذلك الزمان، وفي العصر الإسلامي شكَّلوا همزة الوصل بين الثقافة الآرامية والثقافة الإسلامية، تعززت أسماؤهم في الكتب القديمة، وأُطلق عليهم اسم الكشطيين أي أهل الحق، والناصورائيين أي المؤمنين بالله الموحدين وأسموهم المندائيين أي العارفين، وكذلك اليحياوين أي أتباع النبي يحيى بن زكريا، وكذلك المغتسلة لكثرة اغتسالهم بالماء الجاري، والمصطبغة أي الذين يصطبغون (يتعمدون) بالماء، وأُطلِق عليهم المتنورون، كان لهم وجود كبير قبل الإسلام، ولكن بعد الإسلام أفل نجمهم وقلت أعدادهم ولم يتبقَ منهم إلا القليل يسمونهم في العراق باسم "الصبة" التي تعني اصطبغ وغطس بالماء، وأن الصباغة من الشعائر المهمة عندهم.

تقوم الديانة المندائية على ركنين أساسيين هما الشهادة والتوحيد، فهم يعبدون الله وحده ولا يشركون معه أحدًا أبدًا، فهو واحد أحد وهو خالق الكون وليس له أب أو أولاد وما من أحد قبله فهو ملك النور السامي، وهو الذي وهب النور

لكل الكواكب والنجوم، والله وحده يُعظَّم ويُسبَّح ويُمجَّد فهو كله نور، كله حق، كله حياة، كله رحمة، كله معرفة وعلم، كله جلال ووقار.

وهم جذر التوحيد الأول وأول أنبيائهم آدم "ع" وكتابهم الكنز العظيم أي صحف آدم... ومن كتبهم كتاب تعاليم النبي يحيى... وقد بعثه الله لإعادة اليهوطايي في الدين المندائي وبعد وفاته صعد إلى السماء... وهناك كتاب القلسنا ويعنى بأمور الزواج وسننه والنكاح الشرعى.

ولديهم كتاب سيدرا اد نشماثا الذي يتحدث عن النفس (النشماثا).

هناك عداء بين المندائيين واليهود بسبب الأذى الذي سبَّبه اليهود للمندائيين.

وتمثل الصلاة لديهم ركنًا أساسيًا ولديهم الوضوء في المياه الجارية كطهارة قبل بدء الرشامة (الصلاة) والوضوء عندهم فرض واجب لغسل الذنوب والطهارة يعيشون قرب الأنهار ويعتبر نهر الأردن مقدس عندهم لأن النبي يحيى اصطبغ فيه فغسل كل الذنوب.

والصباغة وصية لارتباط العالم المادي بالعالم الروحي وتهيئة الطريق لخروج النفس إلى عالم الأنوار وأن صلاتهم وصباغتهم يجب أن تكون في النور أي قبل غروب الشمس. وعندهم التعميد على أربعة أنواع.

أولاً: تعميد المولود الجديد قبل أن يبلغ خمسة وأربعين يومًا.

ثانيًا: المتزوجون ويتم بمراسمهم الدينية.

ثالثًا: تعميد الجماعة في أيام البنجة.

رابعًا: عند تكريس رجل الدين الجديد وتعميد الجماعة.

يلبس المندائي الرستة الملابس الدينية البيضاء ويشد الهميانه... ويدخل الماء الجاري ويقوم رجل الدين بإجراء المراسيم الدينية.

والصباغة طهارة وحياة جديدة.

والصلاة عندهم ثلاث مرات وقبلتهم ناحية الشمال لأن عالم الأنوار ناحية الشمال ولأن مجرى الأنهار من الشمال إلى الجنوب وأن ريح الشمال أنقى وأزكى وأعذب حتى أن البوصلة تتجه دائمًا للشمال.

فى عهد آدم كانت الصلاة سبعًا وفي زمن يحيى أصبحت ثلاثاً: صلاة الصبح والظهر والمغرب قبل غروب الشمس.

وعندهم الصدقة ركنٌ أساسيٌ من أركان الدين، ويجب عدم التحدث في الصدقة إذا وهبت بيمينك لا تعلم شمالك، وعندهم الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير أما الصوم الصغير فهو الامتناع عن أكل اللحوم، والمحرمات عندهم كثيرة كما وردت في الوصايا في كتابهم المقدس (الكنزا ربا).

لا يجوز عندهم البكاء على الميت... ولا يحبون الرهبنة ويشددون في أمر طاعة الوالدين، ويحرمون الغش والكذب والقتل والزنا والحسد... وعندهم الموت حق... وسنتهم ٣٦٠ يوم وخمسة أيام يسمونها البنجة عيد الخليقة للعالم العلوي.

وللذباحة عندهم طقوس جميلة في ذبح الطير أو الخروف ويجب أن تتم بوجود شاهد (شكنده) والصابئة المندائيون يحبون النظافة والطهارة: وعندهم رجال دينهم على مراتب عدة تبدأ من الحلالي وتنتهي إلى رتبة رباني.

- **تعقيب:**

فيما يخص القِبلة فهي ناحية الشمال لأن عالم الأنوار في الشمال العلوي القصي ويستدل على الشمال بالنجم القطبي قبل معرفة البوصلة ولا علاقة لمجرى الأنهار ولا الريح بالشمال فهناك أنهار عظيمة مجراها من الجنوب للشمال مثل نهر النيل مثلاً.

أما عن الصلاة فحقًا هي ثلاثة... وتشمل الرشامة والبراحة... ولكن معظم المندائيين لا يؤدونها لصعوبتها وللوقت الطويل الذي يحتاجه، ولأنها تتم باللغة المندائية التي لا يجيدها معظم المندائيين أما موضوع ذباحة الطير والأغنام الذكور فقد تعقدت الأمور بعد الهجرة القسرية إلى الغرب...

ففي السويد مثلاً من بالغ الصعوبة ذبح الخروف أو الطير في البيوت لأنه مخالفة قانونية ولهذا معظم العوائل المندائية تشترى اللحوم المجمدة أو الطازجة من الأسواق كسائر الناس ولكن يبقى رجال الدين وعدد من كبار السن المندائيين يبذلون جهودًا استثنائية للحصول على هذه اللحوم من المزارع في الريف وبطرق شتى وأحيانًا بأسعار عالية وأغلبهم يعيشون على أكل الأسماك المتوفرة والخضروات اضطرارًا.

obeikan.com